القرآن والسنة مصدرا الحضارة الإسلامية الأساسيان

د. حمزة السر محمد الحسن

الأستاذ المشارك ، بجامعة بحريز

يصدرها قسم الدراسات الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الخرطوم - قسم الثقافة الإسلامية بإدارة مطلوبات جامعة الخرطوم

(٣٩-٧١)

المستخلص :

تنفرد الحضارةالإسلامية من بين كل الحضارات العالمية باستقاء نظمها وتشريعاتها وقواعدها من القرآن الكريم والسنة النبوية ، ووفق تلك النظم والتشريعات والقواعد أقام المسلمون دولتهم وشيدوا حضارتهم ، وفي هذا الإطار نشأت وتطورت نظمهم الاجتماعية والعلمية والسياسية والإدارية والاقتصادية وغيرها ، وهذه الدراسة التي اتبعت المنهجين الوصفي والتاريخي تهدف إلى تتبع أثر القرآن الكريم والسنة النبوية في تشييد صرح تلك الحضارة العظيمة ، وتنبع أهمية الدراسة من كونها رداً على الذين يزعمون أن الحضارة الإسلامية استمدت جذورها من حضارات أخرى ، وخلصت الدراسة إلى أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما الأساس الذي قامت عليه تلك الحضارة.

Abstract

The Islamic civilization is unique and distinct from the other civilizations of the world, as it draws in the formulation of its systems, legislations and regulations from the Holy Qurān and Sunna (Prophetic Tradition). In conformity with those systems, legislations and regulations, the Muslims established their State and set up their civilization; and in the same framework, they developed their social, scientific, political, administrative, economic, etc. systems. This research, which adopted the descriptive and historical approaches, aimed to track the impact of the Holy Quran and Prophetic Sunna on laying the foundations of the Islamic civilization. The significance of this research stems from being a response to the claims that the Islamic civilization drew, in forming its roots, on other civilizations. On the contrary, this research cameas out with the conclusion that the Holy Quran and the Prophetic Sunna were the

تمهيد :

إن لكل حضارة من الحضارات أسساً تقوم عليها ، ومحاور تدور حولها ، حيث تقوم هذه الأسس والمحاور بتشكيل المنهج الفكري وتحديد الإطار الذي تسير عليه. ومن المعروف أن مصادر هذه الأسس تختلف من أمة لأمة ، فقد يكون مصدرها سماوياً أو قانوناً وضعياً أو عادات وتقاليد.

والحضارة الإسلامية شأنها شأن الحضارات الأخرى لم تنشأ من العدم. وإنما كان لها أسس قامت عليها ، ومحاورَ ارتكزت عليها ، ونتيجة لهذه الأسس وتللك المحاور تشكل المنهج الفكري ، الذي أدى بدوره إلى إنتاج الحضارة الإسلامية. وقد أجمعت المصادر والدراسات العلمية على أن الحضارة الإسلامية قد قامت على نوعين من الأسس ، أولهما أسس إسلامية أصيلة تمثلت في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وثانيهما أسس إضافية تمثلت في العناصر التالية : أمة العرب واللغة العربية وشعوب البلاد المفتوحة والإطار الجغرافي والتأثيرات الأجنبية.

فأما القرآن الكريم والسنة النبوية فيمثلان المصادر الإسلامية الأصيلة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية ، حيث إنه اعتماداً على هذين المصدرين تشكل المنهج الفكري للأمة الإسلامية ، واتضحت الخطوط الرئيسية التي سيسير عليها المسلمون في بناء حضارتهم ، وقد استمد المسلمون من هذين المصدرين علاقتهم مع الدول المجاورة ، وبناء عليهما تحدد موقفهم من الحضارات السابقة والمعاصرة ، ومدى التفاعل معها ، وغير ذلك من الأمور.

إن القرآن الكريم بصفة خاصة هو الأساس الأول من أسس الحضارة الإسلامية باعتباره المصدر الأول للإسلام وحجر الزاوية الذي تقوم عليه الشريعة الإسلامية ، ولما كان القرآن الكريم هو دستور الإسلام والمسلمين ، فقد كان من الطبيعي أن يكون بمثابة المنبع الأول والرئيسي الذي نبعت منه الحضارةالإسلامية ، إذ يكمن فيه سر أصالة الإسلام وحضارته ، ومجمل القول فإن القرآن الكريم لم يكن كتاب دعوة فحسب بل هو دستور حياة رسم للأمة تصوراتها للحياة في جوانبها المختلفة.

وأما السنة النبوية أو علم الحديث فتعد المصدر الثاني من مصادر الحضارة الإسلامية. والسنة في اللغة هي الطريقة والسيرة.[1] وفي الاصطلاح هي كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية أو سيرة.[2] والسنة أنواع منها : السنة القولية ،

---

[1] ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن الجزري : النهاية في غريب الحديث ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي ، المكتبة الإسلامية ، ج٢ ، [بدون تاريخ] ص٤٠٩.

[2] ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، مؤسسة الكتاب الثقافية ، [١٩٩٩م] ، ص١٢.

مثل قوله عليه الصلاة والسلام : إنما الأعمال بالنيات[٣] ، والسنة العملية وهي أفعاله من وضوء وصلاة وحج وغيرها ، والسنة التقريرية ، وهي ما أقره عليه الصلاة والسلام مما صدر عن أصحابه من قول أو فعل بسكوته أو إظهار الرضا عنه واستحسانه ، ومن السنة ما يتعلق بشمائله وصفاته وأخلاقه.

والاعتماد على السنة أمر ضروري في بناء الثقافة الإسلامية ، لأن القرآن جاء بالعموميات والكليات[٤] ، تاركاً التفاصيل إلى السنة ، فلايعرف قوله تعالى : ﴿ **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ** ﴾ [البقرة : ٤٣]. إلا بقوله ﷺ : **" صلوا كما رأيتموني أصلي "**[٥] ، وغيره من الأحاديث الموضحة لكيفية أداء الصلاة بجميع أركانها وشروطها من فرض وسنة ، ولا يعرف قوله تعالى : ﴿ ... **وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ** ﴾ [آلَ عمران : ٩٧]. إلا بقوله ﷺ : **" خذوا عني مناسككم "** [٦] ، وغير هذا من الأحاديث الموضحة لكيفيةأداء مناسك الحج الفرضية والسنية. وتأتي مكانة السنة مع القرآن على ثلاثة أحوال :

(١) أن تكون موافقة له ، فيأتي الحكم في القرآن والسنة معاً ، مثل الأمر بالصلاة والنهي عن الزنا.

(٢) أن تكون بياناً للقرآن وتفسيراً له ، مثل تفسير الزيادة في قوله تعالى : ﴿ **لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ** ... ﴾ [يونس : ٢٦] ، فسرها ﷺ بالنظر إلى وجه الله تعالى[٧] ، وتفسيره ﷺ للظلم في قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ** ﴾ [الأنعام : ٨٢] فسره بالشرك.[٨]

---

[٣] مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ج٦ ، ص٨٤.

[٤] العيادي ، أحمد صبحي : المرتكزات الأساسية في الثقافية الإسلامية ، دار الكتاب الجامعي ، ط٢ ، [٢٠٠٧م] ، ص٤٧.

[٥] البخاري ، أبوعبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط١ ، [١٤٢٢هـ] ، رقم ٦٣١.

[٦] مسلم : مرجع سابق ، ج٤ ، ص٧٩.

[٧] المرجع نفسه ، ج١ ، ص١١٢.

[٨] البخاري : مرجع سابق ، رقم ٣٢.

(٣) أن تجيء بزيادة حكم لم يرد في القرآن ، مثل وجوب استئذان المرأة عند تزويجها ، وتحريم الجمع بين المرأة وعمتها والمرأة وخالتها.

وبين القرآن والسنة من التلازم ما شهدت به كثير من الآيات والأحاديث كقوله تعالى : ﴿ **وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ شَدِيدُ الْعِقَابِ** ﴾ [الحشر : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿ **مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَّ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا** ﴾ [النساء : ٨٠] ، وقوله ﷺ : " **قد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله ، وأنتم تسألون عني...** " الحديث.[٩]

إن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أرسيا دعائم الحضارة الإسلامية على أسس ثابتة متينة ، فما من وجه من أوجه هذه الحضارة إلا وكان القرآن الكريم والسنة النبوية هما مصدره ومنبعه. وبالطبع فإن هذه الدراسة لن تستطيع الإحاطة بكل جوانب الحضارة الإسلامية ومسألة استمداد جذورها من القرآن والسنة ، لكنها تطرق لبعض هذه الجوانب.

أولاً : دعوة القرآن والسنة للعلم الشامل :

لقد كرم الله العلم والقراءة والكتابة في أولى الآيات التي نزلت على قلب الرسول الكريم ، ولنطف سريعاًلنقف على بعض مما احتواه القرآن الكريم عن العلم باعتباره أساس الحضارة. إن أولى الآيات التي نزلت في القران الكريم هي : ﴿ **اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ** ﴾ [العلق : ١] ، وثاني الآيات هي : ﴿ **ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ** ﴾ [القلم : ١] ، وبالتالي نرى أن أولى الآيات في القرآن الكريم تحث على تعلم القراءة والكتابة. وقد قرن الله تعالى الإيمان بالعلم إشارة إلى أن العلماء هم أعلى مقاماً وأرفع منزلة فقال : ﴿ ... **يَرْفَعِ اللهَّ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهَّ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ** ﴾ [المجادلة : ١١].

لقد كان العلماء قبل الإسلام منعزلين عن العامَّة ، وكانت الفجوة بينهم كبيرة ، فالعلماء في فارس أو في روما أو عند اليونان كانوا يعيشون في عزلة تامَّة ، تقوم بينهم المناظرات والنقاشات ، ويتوارثون العلم فيما بينهم ، بينما تعيش العامَّة في جهل مُطبِق ، وبُعد تام عن أي صورة من صور العلم ، لكن الإسلام كان شيئاً آخر ، فرسول الله ﷺ

[٩] مسلم : مرجع سابق ، ج٤ ، ص٤١.

يقول : **" طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة "** [١٠] ، لتصبح القضية واجباً دينياً مفروضاً على الجميع ؛ إذ يجب أن يطلب الجميع العلم ، ليصبحوا جميعاً متعلِّمين ، لم يستثن من ذلك رجل أو امرأة.

وقد قام رسول الله ﷺ بالتطبيق العملي لهذا المنهج ، فها هو ذا يأسر سبعين ممَّن عادوه بعد معركة بدر التي فرضوها عليه ، ويفتدي الأسرى أنفسهم بدفع مبلغ من المال ، لكن الَّذين يحسنون القراءة والكتابة ، كان فداؤهم أن يعلّم كل واحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة[١١] ، فقد آثر التعليم على إجبارهم على دفع المال ، مع شدَّة الحاجة إليه في ذلك الوقت ، لأن التعليم يحقّق جزءاً من الغاية الَّتي أُرسل من أجلها. كان هذا فكراً حضارياً لم يكن معروفاً البتَّة في العالم في ذلك الوقت ، ولا حتى بعد ذلك الوقت بقرون.وبهذا العمل الجليل يعد النبي ﷺ أول من وضع حجر الأساس في إزالة الأمية وإشاعة القراءة والكتابة.[١٢]

وها هو ذا يطلب إلى قبيلة الأشعريين المتعلّمة أن تعلّم قبيلة جاهلة جارة ، ويطلب إلى القبيلة الجاهلة ، أن تأوي إلى دور العلم كي تتعلَّم ، أو يلحق الطرفين عذاب شديد في الدنيا قبل الآخرة ، فقد حمَّل العالم مسؤولية التعليم ، وحمَّل الجاهل مسؤولية الهجرة إلى المعلّم ، والبحث عنه والأخذ من علومه ، إذ إن العلم والتعلُّم والتعليم إجباري في ظلال دين الله الخالد ، فعن علقمة بن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن جدّه قال : **" خطب رسول الله ﷺ ذات يوم ، فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثمَّ قال : ما بال أقوام لا يُفقِّهون جيرانهم ولا يُعلِّمونهم ولا يعظونهم ، ولا يأمرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلَّمون من جيرانهم ولا يتفقَّهون ولا يتَّعظون؟ والله ليعلّمنَّ قوم جيرانهم ويفقّهونهم ويعظونهم ويأمرونهم وينهونهم ، وليتعلَّمنَّ قوم من جيرانهم ويتفقَّهون ويتَّعظون أو**

---

[١٠] ابن ماجة : الحافظ أبو عبد الله الغزويني : سنن ابن ماجة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة ، [بدون تاريخ] ص٢٢٤.

[١١] الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، طبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر أباد ، [١٣٤٢هـ] ، رقم٢٦٢١.

[١٢] أبو شهبة ، د. محمد بن محمد : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ، ط٨ ، [٢٠٠٦م] ص ٦٧ ، ٦٨.

لأعاجلنَّهم العقوبة " ثمَّ نزل. فقال قوم : من ترونه عنى بهؤلاء؟ قالوا : الأشعريِّين هم قوم فقهاء ، ولهم جيران جفاة من أهل المياه والأعراب؛ فبلغ ذلك الأشعريِّين ، فأَتَوْا رسول الله ﷺ فقالوا : يارسول الله ذكرت قوماً بخير وذكرتنا بشر فما بالنا؟ فقال : **" ليعلّمنَّ قوم جيرانهم وليعظنَّهم وليأمرنَّهم ، وليتعلَّمنَّ قوم من جيرانهم ويتَّعظون ويتفقَّهون ، أو لأعاجلنَّهم العقوبة في الدنيا "** ، فقالوا : يارسول الله! أنفطّن غيرنا؟ فأعاد قوله عليهم ، فأعادوا قولهم : أنفطّن غيرنا؟ فقال ذلك أيضاً ، فقالوا : أمهلنا سنة ، فأمهلهم سنة ليفقِّهوهم ويعلّموهم ويعظوهم[١٣] ، فأيّ نظام عالمي عاقب الجاهل -أو كاد-على كونه أمِّياً؛ تهاون في تعلُّم القراءة أو الكتابة ، بل جميع أنواع العلوم والحكمة ، سوى الإسلام؟ وأيّ نظامٍ عالمي هدَّد العالم بالعقوبة ؛ إن كتم علمه ، فلم ينفع به الناس سوى الإسلام؟

لقد أمر الإسلام أتباعه بأن يجعلوا قضية العلم قضية أساسيَّة في حياتهم ، وأمرهم أن يرفعوا من قدر العلماء ، إلى الدرجة التي قال فيها رسول الله ﷺ : **" من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله بهطريقاً من طرق الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضاً لطالب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السماوات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً ، ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر "**.[١٤]

وللعالم ثواب عظيم والدال على الخير كفاعله ، وإذا مات العالم فإن أجره عند الله لا ينقطع بموته ، بل يجري له ما انتفع الناس بعلمه ، قال عليه الصلاة والسلام : **" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة إلا من صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له "**.[١٥] وإذا نشر العالم علمه بين الناس كان له مثل أجور من اتبعه ، قال عليه الصلاة والسلام : **" من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من**

---

[١٣] الهيثمي ، علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ، الريان للتراث ، القاهرة ، [١٩٨٦م] ، ج١ ، ص ١٦٤.

[١٤] أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داؤد ، دار إحياء السنة المحمدية ، [بدون تاريخ] ، رقم ٣٦٤١.

[١٥] مسلم : مرجع سابق ، ج٥ ، ص٧٣.

أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً ".[١٦]

وقد يظن البعض أن العلم الذي يدعو إليه القرآن هو العلم الديني ، أي العلم بالله وأحكامه وشريعته فقط ، هذا جانب من الحقيقة وليس هو بالحقيقة كلها ، إن العلم في القرآن الكريم له أبعاد متعددة يمكن إجمالها في العلم بكتاب الله المسطور ، وهو القرآن الكريم وما يتبع ذلك من العلم بأوامر الله ونواهيه وأحكامه ، والعلم بكتاب الله المنشور ، وهو الكون الطبيعي كما في قوله تعالي : ﴿ **أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ (١٩) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ** ﴾ [الغاشية : ١٧-٢٠] ، والعلم بالكون الطبيعي يستلزم العلم بالقوانين والنواميس المتحكمة في الظواهر ، كما يستلزم تعلم العلوم الطبيعية والرياضية والكيماوية والفيزيائية والفلك والهندسة والجغرافيا وكل ما له صلة بالأجرام السماوية كالجاذبية مثلاً. ويذكر القرآن الكريم بالكون الطبيعي في أماكن أخرى ، كما في قوله تعالى : ﴿ **أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَّ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَّ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللهَّ عَزِيزٌ غَفُورٌ** ﴾ [فاطر : ٢٧-٢٨]. وواضح من السياق في هاتين الآيتين أن المراد بالعلماء هم العالمون بالآيات وأسرار الخلق التي أودعها الله فيها أشارت إليه الآيتان ، وموضوعهما هو نفس موضوع العلم الطبيعي ، فالعلم الطبيعي يبحث في الأشياء الكونية وطبائعها وخواصها ، والعلاقات القائمة بينها ، ثم عن حقيقتها إن أمكن ، أي عن الآيات المودعة في هذه الأشياء ، إن سر نزول المطر المذكور في الآيتين مثلاً لا يعرف إلا بعلم الطبيعة ، ولا يعرف تركيبه وخواصه إلا بعلم الكيمياء ، ولا يعرف الإنبات والإثمار إلا بعلم النبات ، ولا يعرف ما الجبال ولا طرائقها البيض والحمر والسود إلا بعلم طبقات الأرض ، ولا يعرف اختلاف الأجناس في البشر والدواب والأنعام إلا بعلمي أصول الشعوب والحيوان.

وقد حصر الله في آخر الآيتين الخشية الكاملة في العلماء الذين يتدارسون آياته الكونية ، لأن العلماء إذا كانوا مؤمنين حملهم علمهم بأسرار الطبيعة على خشية الله تعالى[١٧] ، وفي هذا

---

[١٦] المرجع نفسه ، ص٦٢.

المعنى يقول البتانى أعظم الفلكيين المسلمين : **" إن الإنسان ليصل عن طريق النجوم-أي علم الفلك-إلى برهان وحدة الله ومعرفته وعظمته الكاملة وحكمته السامية وقوته الكبرى وكمال خلقه "**.[١٨]

إن الناظر في الآيات القرآنية والسنة النبوية يجد في كثير من الأحيان أنهما قد حثا على طلب العلم دون الخوض في تحديد نوع العلم سواء كان علماً دينياًأو دنيوياً ، وذلك لإدراك الإسلام قيمة جميع العلوم في حياة الإنسانية ، فترك المجال مفتوحاً للجميع ليتخير الإنسان لنفسه المجال الصالح للمجتمع والمتوافق مع قدراته ورغباته ، وحتى لا يتكالب المسلمون على مجال فيحققوا فيه المنفعة ، ويتركوا مجالاً آخر فيجلب الضرر.

لقد قام صحابة رسول الله ﷺ بنشر رسالة العلم في ربوع الأرض كلِّها ، وتتلمذ على أيديهم طائفة من خيار الناس ، وانطلاقاً من هذا الهدي القرآني النبوي ، راح المسلمون الأوائل يتسابقون في مجالات العلم وميادينه المختلفة ، فترجموا كتب الحضارة الإنسانية الَّتي سبقتهم واستفادوا من علومها وملكوا زمام المبادرة فيها ، فكانوا أمناء على الحضارة الإنسانية ، فقد حفظوها من الضَّياع ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل أضافوا حقائق جديدة وعلوماً جديدة إلى ما ورثوه عمَّن سبقهم ، ولقد لمع في تاريخ الحضارة الإسلاميةمئات الأسماء ، كلُّهم يعدّ من أساطين العلم في تاريخ البشرية؛ من أمثال الغزالي ، وابن رشد ، والفارابي ، والحسن بن الهيثم ، وابن خلدون ، والخوارزمي ، وابن سينا ، وابن نفيس وغيرهم من علماء الطّب والعلوم والفلسفة والتاريخ وعلم الاجتماع والرياضيات والفلك وغيرها من العلوم.

إن هؤلاء العظماء التاريخيين لم يكونوا ليصلوا إلى ما وصلوا إليه إلا بفضل الدافع الإسلامي القوي على العلم والبحث العلمي الذي حملهم على بذل أعمارهم سعياً وراء الحقيقة العلمية. وبعد أن وصلوا إلى تلك الحقيقة حفظوها في مخطوطاتهم النفيسة التي تعد الآن من كنوز المكتبات العالمية من عربية وأجنبية. إن نظرة واحدة إلى ما تحويه مكتبات

---

(١٧) طبارة ، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، [بدون تاريخ] ، ص٢٢٧.

(١٨) هونكة ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل ، بيروت ، ودار الآفاق الجديدة ، ط٨ ، [١٩٩٣م] ، ص ١١١.

واشنطن ونيويورك ولندن وباريس وبرلين والقاهرة ودمشق وغيرها تكشف لنا مدى الثروة العلمية التي حوتها هذه المؤلفات ، كل ذلك انطلاقاً من موقف القرآن الكريم وموقف رسول الإنسانية محمد عليه الصلاة والسلام من العلم والتعليم والمعرفة الإنسانية. ونكتفي هنا بذكر ثلاثة مظاهر لهذه الحركة العلمية التي أسس لها الإسلام :

(١) **المكتبات العامة** : انطلاقاً من ذاك التشجيع الذي بات من صميم الدين ، أسس المسلمون المكتبات العامة المفتوحة لعموم الناس ، فكانوا يقرءون فيها بالمجان ، وينسخون ما يريدون من صفحات العلم المختلفة ، بل كان كبار الخلفاء والأمراء يستضيفون في هذه المكتبات طلاب العلم من البلاد المختلفة ، وينفقون عليهم من أموالهم الخاصة. وقد وجدت هذه المكتبات بكثرة في كل مدن العالم الإسلامي ، ولعل من أشهرها مكتبات : بغداد وقرطبة وإشبيلية والقاهرة والقدس ودمشق وطرابلس والمدينة وصنعاء وفاس والقيروان.[١٩]

(٢) **ظهور مجالس العلم الضخمة** : انتشرت حلقات العلم في كثير من ربوع العالم الإسلامي ، وكان عددمن يحضرها يصل في بعض الأحيان إلى أرقام غير متخيلة ، فمجلس ابن الجوزي مثلاً كان يحضره أكثر من مائة ألف إنسان كلهم من عامة الشعب[٢٠] ، وكذلك كانت مجالس الحسن البصري وأحمد بن حنبل والشافعي والإمام مالك ، بل وكان هنالك أحياناً في داخل المسجد الواحد أكثر من حلقة علم في وقت واحد ، فهذه لتفسير القرآن ، وهذه للفقه ، وأخرى للحديث النبوي ، ورابعة للعقيدة ، وخامسة للطب ، وهكذا.

(٣) **اعتبارالإنفاق على العلم صدقة وقربة إلى الله** : وهذا ما جعل الموسرين من أبناء هذه الأمة ينفقون أموالهم على بناء المدارس ، بل ويوقفون الأوقاف الكثيرة لرعاية طلاب العلم وبناء المكتبات وتطوير المدارس ، وبذا صارت قضية العلم قضية عامة ، لا تهم

---

[١٩] انظر على سبيل المثال مكتبة قرطبة في : ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٢ ، [١٩٤٨م] ص٩٢.

[٢٠] الذهبي : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة من المحققين تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤط ، طبعة الرسالة ، ط٢ ، [١٩٨٥م] ، ص٣٦٥.

فقط رجال العلم ، بل تخص الجميع ، ومن ثم انتشرت المكتبات وكثرت مجالس وحلق العلم وانمحت الأمية أو كادت.

وخلاصة القول فإن للعلم قيمة ومنزلة كبيرة في الإسلام ، وهذا ظاهر كظهور الشمس في كبد السماء في نصوص القرآن والسّنة وفي آثار السلف الصالح أيضاً ، ذلك لأن بالعلم يعلو قدر الأمة ، وبالعلم تخرج من ظلمات الجهل إلى النور.وبالعلم يسمو ويرتفع أفرادها من مرتبة البهيمية إلى مرتبة العلماء.

ثانياً : إرساء القرآن والسنة دعائم العقيدة الصحيحة :

جاء الإسلام وفي العالم ركام هائل من العقائد والتصورات والفلسفات والأساطير والأفكار والأوهام والشعائر والتقاليد والأوضاع والأحوال ، يختلط فيها الحق بالباطل والصحيح بالزائف والدين بالخرافة والفلسفة بالأسطورة ، والضمير البشري تحت هذا الركام الهائل يتخبط في ظلمات وظنون ، لا يستقر منه على يقين ، والحياة الإنسانية بتأثير هذا الركام الهائل تتخبط في فساد وانحلال ، وفي ظلم وذل ، وفي شقاء وتعاسة ، لا تليق بالإنسان ، بل لا تليق بقطيع من الحيوان. وكان التيه الذي لا دليل فيه ، ولا هدى ولا نور ، ولا قرار ولا يقين هو ذلك التيه الذي يحيط بتصور البشرية لإلهها وصفاته ، وعلاقته بالكون وعلاقة الكون به ، وحقيقة الإنسان ، ومركزه في الكون ، وغاية وجوده الإنساني ، ومنهج تحقيقه لهذه الغاية ، ونوع الصلة بين الله والإنسان ، ومن هذا التيه وذلك الركام كان ينبعث الشر كله في الحياة الإنسانية ، وفي الأنظمة التي تقوم عليها ، ولم يكن مستطاعاً أن يستقر الضمير البشري على قرار في أمر الكون ، وفي أمر نفسه وغير ذلك قبل أن يستقر على قرار في أمر عقيدته. وفي أمر تصوره لإلهه ، وقبل أن ينتهي إلى يقين واضح في وسط هذا العماء الطاغي ، وهذا التيه المضل ، وهذا الركام الثقيل.[٢١]

ويحكي ابن الكلبي في كتابه المعروف **" الأصنام "** عن الأصنام التي اتخذها العرب آلهة فيذكر : سواع ، ود ، يغوث ، نسر ، مناة ، اللات ، العزى ، هبل ، أساف ، نائلة ، ذو الخلصة ، ذو الكفين ، ذو الشرى ، الأقيصر ، نهم ، رائم ، سعيد ، الفلس ، سعد ، اليعبوب ، باجر ،

---

[٢١] قطب ، سيد : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق ، [بدون تاريخ] ص ٢٢، ٢٣.

عميانس ، وعشرات بل مئات أخرى من الأصنام والأوثان ، لم تكن منتشرة في الصحراء وحدها ، بل على العكس ، كانت المدن وهي الأكثر تقدماًساحات تعج بها هذه الأباطيل وتزدحم ، وحول كل صنم أو وثن حشد من الخرافات والأوهام ، تراكمت وتشابكت كما تتشابك خيوط العنكبوت في الأماكن المهجورة ، ولا يبخل ابن الكلبي على القارئ بهذه الترهات فيقول : **" كان إساف يتعشق نائلة في أرض اليمن ، فأقبلوا حجاجاً ، فدخلا الكعبة ، فوجدا غفلة من الناس ، وخلوة من البيت ، ففجر بها هناك فمسخا ، فأصبحوا فوجدوهما مسخين ، فأخرجوهما فوضعوهما في موضعهما ، فعبدتهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب "**.[٢٢]

ومن الناحية الاجتماعية فقد كانت حياتهم مليئة بالمآسي والظلم والفواحش ، يقتلون الأولاد خشية الفقر أو العار ، ويأكلون الربا ، ولا حق عندهم للضعيف كاليتيمات والنساء والرقيق. وكانوا يمارسون أنواعاً غريبة من أنواع الزواج كزواج البدل مثلاً بأن يقول الرجل : أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك.[٢٣] ولقد كانت الحروب الداخلية تستنفد جهودهم وطاقاتهم بسبب التعصب للقبيلة ، وكانت الحروب تثار أياماً وسنين لسبب يسير كنزاع على الشرب أو المرعى أو لكلمة طائشة.

ومن الناحية الاقتصادية فقد كان الفقر طابَعاً عامّاً لكل الجزيرة إلا بقاعاً محدودة مثل مكة ، بفضل ما سخر الله لهم من موسم الحج ورحلتي الشتاء والصيف ، وكان المصدر الرئيسي للرزق عندهم هو الرعي ، فكانوا يغزون بعضهم للنهب والسلب ، وكان قطاع الطريق منتشرين يخيفون الآمنين والمسافرين. ولم تكن لهم نقود يتعاملون بها ، وإنما كان تعاملهم إما بطريق مبادلة الأعيان بالأعيان ، وإما بطريق نقود الدولتين المجاورتين لهما ، وهما الفرس والروم حيث كان الدينار من الروم والدرهم من الفرس.[٢٤]

---

[٢٢] الكلبي ، هشام بن السائب : كتاب الأصنام تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، [١٩٢٤م] ، ص٩.

[٢٣] شلبي ، أبو زيد : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة ، القاهرة [٢٠٠٢م] ، ص٢٥.

[٢٤] البلاذري ، أحمد بن يحيي : بن جابر : فتوح البلدان [١٩٥٧م] ، ص٤٧١.

لقد أطبق ليل الجهل وظلام الشرك على الأرض كلها ، فكانت الزندقة الشهوانية ، والمجوسية النارية ، والصابئية ، والبراهمية ، والبوذية ، والوثنية تعم مختلف مناطق العالم ، فكانت الحاجة ماسة لظهور النور الجديد ليرتفع بالبشرية الضالة عن حقيقة التوحيد الغارقة في بحار الشرك والشهوة والجهالة إلى القمة الصافية في العقائد والسلوك ونظم الحياة ، فكانت بعثة محمد ﷺ بشيراً ونذيراً وسراجاً منيراً.

ومن هذا المستنقع الآسن الذي يختنق فيه العقل والروح والوجدان ، ومن هذه الخرائب المهجورة التي يعشعش فيها التخلف والسخف والسذاجة جاء الإسلام لكي يخرج بالإنسان إلى آفاق التوحيد ونقاء الاعتقاد ، فيحرر عقله وروحه ووجدانه ويعيد تشكيلها من جديد.[٢٥]

لقد جاء الإسلام بعقيدة التوحيد التي تفرد الله سبحانه بالعبادة والطاعة ، وحرص على تثبيت تلك العقيدة وتأكيدها ، وبهذا نفى كل تحريف سابق لتلك الحقيقة الأزلية ، قال عز وجل : ﴿ **قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (١) اللهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** ﴾ [الاخلاص : ١-٤] ، فأنهى الإسلام بذلك الجدل الدائر حول وحدانية الله تعالى ، وناقش افتراءات اليهود والنصارى ، وردَّ عليها في مثل قوله سبحانه وتعالى : ﴿ **وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ** ﴾ [التوبة : ٣٠-٣١].وقطع القرآن الطريق بالحجة والمنطق على كل من جعل مع الله إلهاً آخر ، قال عز وجل : ﴿ **أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ (٢١) لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ** ﴾ [الأنبياء : ٢١-٢٢].

لقد تبنت العَقيدة الإسلامية حشداً من القيم التصويرية كالربانية والشمولية والتوازن والثبات والتوحيد والحركية والإيجابية والواقعية ، تلتئم وتتداخل وتتكامل لكي تشكل نسقاً عقدياً ، ما بلغت عشر معشاره أية عقيدة أخرى في العالم ، وضعية كانت أم دينية ، ولن تبلغه أبداً.[٢٦]

---

[٢٥] خليل ، عماد الدين : مدخل إلى الحضارة الإسلامية ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ط١ ، [٢٠٠٥م] ، ص١٧.

[٢٦] خليل : المرجع نفسه ، ص١٦.

لقد بقي القرآن يتنزل خلال ثلاث وعشرين سنة ، يبين للناس حقائق العقيدة والعمل؛ ليستنقذهم من هاوية الضلال والردى إلى الإيمان والهدى ، فما أن تلقَّوا هذا القرآن وجرت تعاليمه في دمائهم وأرواحهم حتى تغيرت حياتهم ، ثم انطلقوا بعد ذلك إلى البشرية جمعاء ليفيضوا عليها الهدى والنور ، مشفقين على شعوب الأرض مما هي فيه من الظلام والجهل والشرك.

إن كل عقيدة يحملها الفرد وتدين بها أمة سواء أكانت صحيحة أم باطلة لا يقتصر أثرها على الناحية الفكرية استقامةً وانحرافاً ، هدىً وضلالاً ، بل لا بد وأن يظهر أثر هذه العقائد في جوانب الحياة المختلفة ، ومن هنا جاءت الضرورة للعقيدة السليمة؛ لأنها الغذاء الروحي والضروري لسير الفرد والمجتمع في مضمار التقدم والحضارة. وبمقدار تمسك الأمة وأفرادها بالعقيدة السليمة ، يكتب لهذه الأمة البقاء بشخصيتها المستقلة دون الذوبان في الأمم الأخرى. وليس هناك عقيدة تحرر الإنسان من الشرك والعبودية لغير الله ، كالعقيدة الإسلامية؛ لأنها عقيدة تصدر عن الله أولاً ، ولأنها تسيطر على جميع مجالات الحياة وعلى النفس الإنسانية بقوة أكثر من قوة القانون وسلطته ، وبتكاليف أقل من تكاليف تنفيذ القانون. والقانون وحده ما لم يستند إلى العقيدة فإنه يعتبر فاقداً للقوة الروحية التي ينشأ عنها احترامه ، فهو لن يضبط السلوك الإنساني في كل وقت ومكان ، لإمكانية التحايل عليه والهرب من العقاب.[٢٧]

إن الحضارة الإسلامية تكاد تتميَّزعن كل الحضارات السَّابقة واللاحقَة بخلوّها من كلّ مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحكم والفن والشّعر والأدب ، وهذا هو سر إعراض الحضارة الإسلامية عن ترجمة **" الإلياذة "** وروائع الأدَب اليوناني الوثني ، وهذا هو سرعدم حماس الحضارة الإسلامية تجاه فنون النحت والتصوير ، مع تَبريزها في فنون النقش والحفر وزخرفة البناء.[٢٨]

---

[٢٧] ملكاوي ، محمد أحمد محمد عبد القادر : عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، مكتبة دار الزمان ، ط١ ، [١٩٨٥م] ج١ ، ص ٣٢.

[٢٨] السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا ، دار الوفاق ، دار السلام ، ط١ [١٩٩٨م] ، ص ٣٦.

إنَّ الإسلام الذي أعلن الحربَ على الوثنية ومظاهرهالم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ؛ كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين ، وقد كانت التماثيل من أبرز مظاهر الحضارات القديمة والحضارة الحديثة؛ لكن نكاد لا نجد أي حضارةمن هذه الحضارات ذهبت في عقيدة الوحدانية إلى المدى الذي وصلت إليه الحضارة الإسلامية.[٢٩]

لقد كانت آيات الوحدانية التي نزلت في القرآن الكريم من مثل قول الله تعالى : ﴿ **رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩) وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا** ﴾ [المزمل : ١٠] ، كانت هذه الآيات تجد طريقها الشعوري والسلوكي الحاسم في حياة المسلمين ، فتدفعهم إلى التزام منهج بعيد كل البعد عن أن تلحق به آية شائبة من شوائب الشرك أو الوثنية.

وقد عكس النتاج الأدبي والفني التأثر الواضح بهذه العقيدة ، فلم يعد هناك شعر في بداية الإسلام يتحدث عن اللات أو العزى مثلاً ، كما أن شعر هذا العصر عمل على تدعيم العقيدة الإسلامية ونشرها ، واتجه كثير من الشعراء المخضرمين إلى التكفير عن ماضيهم الشعري عن طريق وقفات صادقة مع الدعوة الإسلامية في مراحل كفاحها الأولى ، وقد أبى بعضهم بشدة أن يندمج في التزام منهج أدبي معين ، لأن ذلك في اعتقاده لم يعد له مجال بجوار القرآن الكريم الذي يضم كل ما يشبع العقل والعاطفة ، ويغني عن غيره ، ولم يكن ذلك إلا بتأثير العقيدة المهيمنة على روح أبناء هذه الحضارة ، وهي عقيدة التوحيد الصافي. وحتى في العصور التالية للفترة الأولى من فترات إرساء دعائم هذه الحضارة الإسلامية ، يعتبر النتاج الثقافي الإسلامي خالياً من مظاهر الوثنية ، سواء في الأدب أو الفن والفلسفة ، وغيرها من مجالات الإبداع العقلي ، التي انتشرت في عصور وأمكنة الحضارة الإسلامية.

ولم يقف هذا التأثير عند صبغ هذه الحضارة بصبغة خاصة ، وتنقيتها من شوائب الشرك ، وحسب ، بل إن عقيدة التوحيد كانت دافعاً للإبداع في كثير من مجالات وجوانب هذه الحضارة.

---

[٢٩] السباعي ، المصدر السابق نفسه.

إنها أطلقت طاقات الإنسان في كثير من المجالات ، بعد أن كانت هذه الطاقات مقيدة بأكبال الحاكمين ، وقيود الذين لا عمل لهم إلا فرض الوصاية على الآخرين وإرهاب وتقييد عقولهم بأعراف وتقاليد أنزلوها منزلة القانون الإلهي أو الوضعي ، ومن هنا كانت أن عملت عقيدة التوحيدعلى تحرير العقل ، وللعقل مكانة كبيرة في الدين الإسلامي ، فهو أصل في التوصّل إلى الاعتقاد الصحيح ، وهو دليل من أدلة الاجتهاد ، وكان من بين وسائل تحريره نبذ التقليد الأَعمى ، فقد عاب القرآن على أقوام ذلك التقليد الأعمى ، كما في قوله تعالى : ﴿ **بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ (٢٢) وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آَبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آَثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ** ﴾ [الزخرف : ٢٢-٢٣].

وبعد أن حرّرت العقيدة الإسلامية العقل من القيود التي تأسره ، أطلقته إلى الأمام وهي توجه طاقاته من خلال الالتفات والتدبر في الكون والحياة ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ** ﴾ [آل عمران : ١٩٠-١٩١]. ووجهته إلى إعمال النظر ، والتثبت في الرأي ، واستقلالية التفكير والقرار ، فقال تعالى : ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآَنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا** ﴾ [محمد : ٤]. وقال تعالى : ﴿ **وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ [البقرة : ١١١].

لقد شعرالمسلمون بمساواةحقيقية تربطهم بحكامهم وأولياء أمورهم ، ولم يتحرج رجل أو امرأة أن يطالب بحقه أمام أعلى سلطة ، وأن يخالف هذه السلطة إذا بدا له أن القانون معه ، وأن يعلن رأيه المستقل دون خوف أو وجل ، إن الالتزام بالعقيدة كان له أثر كبير في تحريرهم من استعباد الإنسان لأخيه الإنسان ، وفي شعورهم القوي بأنفسهم أنهم أحرار ، ليس لأحد عليهم حق العبودية ، مهما تكن منزلته. فليس هناك معبود سوى الله سبحانه وتعالى.

إن العقيدة الإسلامية كفلت للأمة بأن تكون هي الأمة الوحيدة التي يستوي فيها الناس جميعاً حاكمهم ومحكومهم ، ويستطيع الفرد العادي فيها أن ينصح الحاكم دون هيبة من سلطانه؛ لأنه يعلم أن الحاكم فقط منفذ للدين وحارس للشريعة ، ولذلك كان علماء

الإسلام يناقشون الحكام وينصحونهم وإن زلوا يحاكمونهم إلى الشرع.[٣٠] ومن هنا انطلقوا في حروبهم لا يستذلهم الخوف ، ولا تستعبدهم هيبة العروش الحاكمة المسيطرة على عالم عصرهم ، انطلقوا وهم يوقنون بأنهم سادة **" ابتعثهم الله لإخراج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده "** ، كما ذكر ربعي بن عامر أمام رستم.[٣١]

إن العقيدة الإسلامية كفلت للأمة إذا ما تمسكت بها بأن تكون أمة عزيزة الجانب مصونة لا تقيم حرباً أو سلماً إلا على أساس عقيدتها ، كما كان عمل الرسول ﷺ أول مقدمه إلى المدينة مع مختلف الطوائف داخل المدينة وخارجها من الممالك والإمارات ، وإذا جاهدت الأمة فليس هدفها من الجهاد إراقة الدماء ونهب الأموال ، إنما هدفها تحرير الإنسانية من الحكام الكفرة ، الذين يحولون بين أممهم وبين الدين الحق.[٣٢]

إن الوَحدة في العقيدة قد طبعت كلّ الأُسس والنُّظم التي جاءت بها الحضارة الإسلامية؛ فهنالك الوَحدة في الرّسالة ، والوَحدة في التشريع ، والوحدة في الأهداف العامة ، والوحدة في الكيان الإنساني العام ، والوحدة في وسائل المعيشة وطراز التفكير ، حتَّى إنَّ الباحثين في الفنون الإسلاميَّة قد لاحظوا وحدة الأُسلوب والذَّوق في أنواعها المختلفة ، فقطعة من العاج الأندلسي ، وأخرى من النسيج المصري ، وثالثة من الخزف الشامي ، ورابعة من المعادن الإيرانيَّة -تبدو رغم تنوُّع أشكالها وزخرفتها ذات أسلوب واحد وطابع واحد.[٣٣]

ونخلص إلى أنه متى ما حكم الإنسان عقله يرى أنّ العقيدة الإسلامية تشكل نظاماً متكاملاً للحياة البشرية بمختلف أطوارها ، وترسم الطريق لكل جوانبها ، وتنسجم مع الفطرة الإنسانية ، وتضمن تحقيق حاجات الفرد الروحية ورغباته المادية بشكل متوازن دقيق ، وبما يضمن كرامته وشخصيته. وعلى قواعد هذه العقيدة يقوم بناء الشخصية ، شخصية الفرد والمجتمع والدولة الإسلامية ، وتنتظم العلائق والروابط ، وتتحدد الحقوق

---

(٣٠) ملكاوي : مرجع سابق ، ج١ ، ص٤٤.

(٣١) ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن أحمد : البداية والنهاية ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، [بدون تاريخ] ، ج٩ ، ص٦٢٢.

(٣٢) ملكاوي : مصدر سابق ، ج١ ، ص ٤٤.

(٣٣) السباعي : مرجع سابق ، ص٣٥.

والواجبات ، وتتحقق العدالة والمساواة ، ويستتب الأمن والسلام ، وينشأ التكافل والتضامن والسلام ، وتزدهر الفضائل والمكارم ، ويبنى الإنسان على كافة الأصعدة.

ثالثاً : وضع القرآن والسنة لأسس الاقتصاد :

إن القرآن الكريم والسنة النبوية قد أرسيا القواعد الكلية لتنظيم الاقتصاد ، وجاءا بعناصر متكاملة تمد الفكر العلمي بحاجته ، وتشتمل على الأسس التي تكفل للجنس البشري أوضاعاً اقتصادية تحقق له مستويات عليا من الرفاهية قبل أن يقوم علم الاقتصاد ويصل إلى ما وصل إليه. ومما جاء في القرآن والسنة النبوية في هذا المجال :

مبدأ العمل : إن العمل هو السبيل الطبيعي لكسب المعاش ، وهو الدعامة التي يقوم عليها المجتمع الإنساني ، ومن أجل ذلك حثَّ القرآن والسنة على العمل وحضَّا على الكسب من طرقه المشروعة؛ فقال تعالى : ﴿ **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ [الملك : ١٥]. وقال سبحانه : ﴿ **فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [الجمعة : ١٠].. وقال سبحانه : ﴿ **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ** ﴾ [التوبة : ١٠٥]. وقال عليه السلام : **" والذي نفسي بيده لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب على ظهره خير له من أن يأتي رجلاً فيسأله أعطاه أو منعه "**.[٣٤]

الزكاة : وهي من أهم الأسس التي يقوم عليها المجتمع الإنساني وينتظم بها اقتصاده؛ فهي من العوامل التي تقلل الفوارق بين الناس في حظوظ الدنيا ، وتطهر نفوس الأغنياء من الشُّح والبخل ، وفيها تتجلى مواساة الأغنياء لإخوانهم الفقراء ، وسد خُلَّتهم ، كما أنها تدفع عن الأغنياء عواقب الحقد عليهم من نفوس الفقراء؛ فتسود المحبة وتقوى أواصر الألفة والتعاطف والتراحم بينهم ، ومن ثم جعلها الإسلام أحد الأركان التي يقوم عليها بنيانه ، وحث عليها القرآن في كثير من آياته وقرنها بالصلاة ، لأن الصلاة صلة بين العبد وربه ، وفيها إصلاح للنفوس ، والزكاة صلة بين الأغنياء والفقراء وفيها إصلاح لشئون المجتمع. قال تعالى : ﴿ ... **وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ**

---

[٣٤] البخاري : مرجع سابق ، رقم ١٤٧٠.

وَأَقْرِضُوا اللهَّ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللهَّ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللهَّ إِنَّ اللهَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [المزمل : ٢٠. وقال سبحانه : **﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللهُّ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾** [التوبة : ١٠٣]. وقال ﷺ : **" بني الإسلام على خمس : شهادة ألا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، والحج وصوم رمضان "** [٣٥] ، وغير ذلك من الآيات والأحاديث التي تكشف عن كثير من نواحي الاقتصاد التي يسعد بها المجتمع.

ولا شك أن الأغنياء إن استمعوا إلى مثل هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة أدى ذلك إلى صيانة المجتمع من الآلام والشرور التي يقاسيها وإلى البعد عن الشيوعيةوالفتن والثورات التي تنشأ من حين لآخر.

تحريم الربا : الربا فيه من المفاسد والإضرار بالمجتمع الإنساني من نواحيه الاقتصادية والاجتماعية ما لسنا في حاجة هنا إلى الإسهاب فيه ؛ فهو يتنافى مع الأخلاق الكريمة التي يجب أن تسود كل مجتمع فاضل ، من المروءة والتعاون والتعاطف والتراحم ، ويورث أفراد المجتمع الحقد والبغضاء ، ويجعل المرابي لا يفكر إلا في الحصول على الأرباح المادية بأسهل الطرق ، ولو كان من طريق تمويل مشروعات ضارة كالملاهي والأندية الليلية وغير ذلك مما يحقق أرباحاً سريعة ، في حين نجده يتلكأ في تمويل المشاريع الصناعية والزراعية لأنها لا تحقق ربحاً سريعاً.[٣٦] والربا يزيد الفقير فقراً والغني غنى ، فتمويل المشاريع الزراعية والصناعية عن طريق الربا يؤدي إلى زيادة كلفة السلعة المنتجة أو المستوردة ، وهذه الزيادة يتحملها المستهلك ويحس بها الفقير فيزداد فقراً ، أما التاجر أو الصانع فلا يتحمل شيئاً من تلك الزيادة ، بل يزداد ربحه[٣٧] ، وهذا يوجد هوة عميقة بين طبقات الأمة بتحويل مجرى الثروة إلى جهة واحدة ، هي جهة أصحاب الأموال ومحاباة رأس المال أو الانحياز معه على حساب

---

[٣٥] البخاري : المرجع نفسه ، رقم ٨.

[٣٦] المودودي ، أبو الأعلى : الربا ، دار الفكر ، بيروت ، [بدون تاريخ] ، ص٥٢.

[٣٧] شبير ، د. محمد عثمان : المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي ، دار النفائس ، ط٦ [٢٠٠٧م] ، ص٢٥٦.

العاملين الكادحين. فتحريمه والنهي عنه تشريع حكيم له أثره البالغ في اقتصاد الأمة ومعاشها ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٠]. ويقول : ﴿ **فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٧٩]. وعن جابر ﷺ قال : **" لعن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وقال : هم فيه سواء "**.[٣٨]

الميراث : بعد قيام الدولة الإسلامية في المدينة وهجرة المسلمين إليها ، ظهرت الحاجة الملحة إلى المال ، فلما كان ذلك ، عالج الرسول ﷺ الضائقة بالمؤاخاة ، ومع أن ما استتبع المؤاخاة من الإرث بين المتآخين من المسلمين قد أوقف بعد تحسن الأحوال الاقتصادية للمسلمين بعد معركة بدر ، وردت المواريث إلى ذوي الأرحام وألحقت الفرائض بأهلها ، على نحو ماجاء في قوله تعالى : ﴿ ... **وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ** ﴾ [الأنفال : ٧٥] ، فإن فكرة المؤاخاة ومنهجها ظل سابقة لأَولي الأمر في تدويل المال بين المسلمين وإشراكهم فيه إبان النوائب المعاشية على نحو ما فعل عمر بن الخطاب عام الرمادة ١٨هـ في الجوع الذي أصاب الناس بالمدينة وما حولها.[٣٩]

هذا وقد شرع الإسلام للميراث نظاماً حكيماً يقضي بتقسيم تركة المتوفى بين أفراد أسرته؛ ليحول بذلك دون تضخم الثروات وتجمعها في أيدٍ قليلة ، فأين من هذا النظام الإسلامي الحكيم تلك النظم التي يقضي بعضها بانتقال جميع ثروة المتوفى إلى ابنه الأكبر ، أو يدع بعضها المالك حراً في أن يوصي بتركته لمن يشاء[٤٠] ؛ فتجتمع من جرَّاء ذلك ثروات ضخمة في أيدي نفر قليل من الناس ، مما يثير حفيظة الفقراء ، ويسبب انتشار المذاهب المتطرفة.

---

(٣٨) مسلم ، مرجع سابق ، ج٥ ، ص٥٠.

(٣٩) ابن كثير : مرجع سابق ، ج١٠ ، ص٦٨.

(٤٠) شلبي : مرجع سابق ، ص٤٧.

قانون من أين لك هذا ؟ : وهو مبدأ خلقي جليل ، وأصل إسلامي صميم طبقه النبي ﷺ على بعض عماله على الصدقات حين رأى أنه استغل عمله لجمع مال لنفسه ، فعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه قال : **" استعمل رسول الله ﷺ رجلاً من الأزد يدعى ابن اللتبية على صدقات بني سليم ، فلما جاء حاسبه قال : هذا مالكم وهذه هدية ، فقال رسول الله ﷺ : فهلا جلست في بيت أبيكوأمك حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقاً ، ثم خطبنا فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإني استعمل الرجل منكم على العمل مما ولاني الله ، فيأتي فيقول : هذا مالكم وهذه هدية أهديت لي ، أفلا جلس في بيت أبيه وأمه حتى تأتيه هديته إن كان صادقاً ، والله لا يأخذ أحدكم منها شيئاً بغير حقه إلا لقي الله يحمله يوم القيامة ، فلأعرفنَّ أحداً منكم لقي الله يحمل بعيراَ له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة تيعر ، ثم رفع يديه إلى السماء حتى رُؤِيَ بياض إبطيه ، وقال : اللهم هل بلغت؟ بصر عيني وسمع أذني "**.[٤١]

حق المِلْكِية : الملكية هي علاقة شرعية بين الإنسان والمال تجعله مختصاً فيه اختصاصاً يمنع غيره عنه ، بحيث يمكنه التصرف فيه عند تحقق أهليته للتصرف بكل الطرق السائغة له شرعاً وفي الحدود التي بينها الشرع ، فالملكية ليست شيئاً مادياً ، وإنما هي حق من الحقوق ، بل هي أوسع الحقوق.[٤٢] ولقد أباح الإسلام للمسلم حق الملكية الفردية بحكم الاستخلاف في الأرض؛قال تعالى : ﴿ **آَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ آَمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الحديد : ٧]. وقال تعالى : ﴿ **لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا** ﴾ [النساء : ٣٢]. وقال ﷺ : **" من قتل دون ماله فهو شهيد "**.[٤٣] وهذا تقرير لحق الفرد في تملك ما كسب.

---

(٤١) مسلم : مرجع سابق ، ج٦ ، ص ١١.

(٤٢) مدكور : محمد سلام : المدخل للفقه الإسلامي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط٢ ، [١٩٩٦م] ص ٤٨١.

(٤٣) أبو داود : مرجع سابق ، رقم ٤٧٧٢.

والملكية الفردية تكافئ ما يبذله الإنسان في تعمير الأرض واستغلالها ، وبقدر بذله وجهده يكون حظه من هذه الملكية ، وهو وكيل في هذه الملكية يتصرف فيها بأمر موكله وهو الله سبحانه وتعالى ، وحق هذه الوكالة هو القيام بواجبات الإنفاق الخاص على نفسه وأهله وخاصته ثم القيام بواجبات الإنفاق العام كالزكاة والصدقة والنذور وما إلى ذلك ، وكذلك ينفق على أنواع البر المختلفة ، قال تعالى في حق الأنصار : ﴿ **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [الحشر : ٩] ، فصفة الإيثار هي التي تميز المسلم ، وتجعله ينفق على أوجه الخير ليطهر نفسه بهذا الإحسان.وللملكية الفردية ضوابط كثيرة تقع جلُّها في دائرة ما أمر به الله وما نهى عنه ، ومن ذلك الالتزام بقاعدة : **" لاَضَرر ولا ضِرار "**.[٤٤] أي ألا تسبب الملكية الفردية ضرراً للملكيات الأخرى.

وهناك الملكية العامة المالك فيها هو الأمة ، قال تعالى ﴿ **وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا** ﴾ النساء : ٥] ، فجعل الضمير في المال يعود للجماعة **" الأمة "** وليس للسفهاء ، والذي يتولى أمر هذه الملكية هو الحاكم بصفته الاعتبارية ، أي باعتباره حاكماً وليس بصفته الشخصية كفرد من أفراد المجتمع.وقد أشار الرسول ﷺ إلى هذه الملكية في قوله : **" المسلمون شركاء في ثلاث : الكلأ والماء والنار "**.[٤٥] وما صارت هذه شركة للناس إلا لأنها من المرافق الحيوية التي لا تصلح للملكية الفردية ، والحكمة من ذلك ألا يترك مورد عام وضروري لحياة كل الناس ، تحت تصرف فردي يخضع لرغبات أحد من الناس إن شاء أمسك وإن شاء أرسل. وقد أدخل الفقهاء في الملكية الجماعية المعادن الموجودة في باطن الأرض ، ومنعوا من امتلاكها لآحاد الناس؛ كما هو المشهور

---

(٤٤) الألباني ، محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض ، [بدون تاريخ] رقم ٧٥١٧.

(٤٥) أبو داود : مرجع سابق ، رقم ٣٤٧٧.

عند المالكية ، كما يدخل في ذلك ممتلكات الأوقاف الخيرية الزراعية والعقارية ، والمساجد ، والمدارس ، والمستشفيات وغيرها.[٤٦]

وخلاصة القول إن الاقتصاد الإسلامي كان موجوداً منذ صدر الدولة الإسلامية والذي أرسى أسسه وقواعده هو القرآن الكريم والسنة النبوية. ولقد وضعت تلك الأسس والقواعد الاقتصادية والمالية على القيم الإيمانية والأخلاقية التي منها : الخشية من الله ، واستشعار مراقبته ، والصدق ، والأمانة ، والتسامح ، والقناعة ، والأخوة ، والحب ، وتحريم الربا والغش والاحتكار والاكتناز والاستغلال والجشع والنجش والعينة وكل ما يؤدي إلى أكل أموال الناس بالباطل. ويعتبر فقه المعاملات هو الدستور الاقتصادي الإسلامي ، وهو شامل للقواعد الكلية الاقتصادية. ولقد سار المسلمون على هذا الدستور في معاملاتهم التي انتشرت في جميع بقاع العالم. وظل الحال على ذلك حتى جاء أعداء الإسلام إلى ديار المسلمين وأحلوا النظم الاقتصادية الوضعية محل النظام الاقتصادي الإسلامي ، فعلى سبيل المثال ألغوا نظام الاستثمار الإسلامي وأحلوا محله النظام الربوي ، وألغوا نظام زكاة المال وأحلوا محله نظام الضرائب ، وألغوا نظام التكافل الاجتماعي وأحلوا محله نظام التأمين ، وبالطبع لن ينصلح حال اقتصاد المسلمين إلا بتبنيهم للاقتصاد الإسلامي ثانية.

رابعاً : وضع القرآن والسنة أسس نظام الحكم والإدارة والقضاء :

إن نظام الحكم الإسلامي له أسسه وقوانينه الواضحة المستمدة من السنة النبوية ومن القرآن الكريم ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ومن هذه الأسس والقوانين أن الحكم الإسلامي يقوم على مبدأ الشورى ، فالله سبحانه وتعالى قد جعل أمر المسلمين شورى بينهم ، إذ يقول : ﴿ **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ** ﴾ [الشورى : ٣٨] ، كما أمر رسوله بمشورة أصحابه ، حيث يقول سبحانه : ﴿ ... **وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ** ... ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ، أمره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون. وقد امتثل ﷺ لهذا الأمر بالفعل عندما عدل في غزوة

---

[٤٦] مذكور : مرجع سابق ، ص٤٩٠.

بدرخطته الحربية بناء على رأي الحباب بن المنذر[٤٧] ، وشاور أصحابه يوم أحد في الإقامة والخروج ، فرأوا الخروج فخرج.[٤٨]

ولأهمية الحكم في الإسلام فقد اهتم الإسلام ببيان ما على الحاكم والمحكوم ، فحذر الحاكم من اتباع الهوى وشهوات النفس ، قال تعالى : ﴿ ... **فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ** ﴾ [ص : ٢٦] ، وقال سبحانه : ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة ٤٩]. وحذر الله المحكوم من العصيان دون سبب مقبول شرعاً فقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا** ﴾ [النساء : ٥٩].

وحرص الإسلام على أن يسود العدل بين جميع الناس ، وحذر من الظلم وعواقبه ، حتى مع غير المسلمين ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا** ﴾ [النساء : ٥٨]. وقال ﷺ : **" إن الله عز وجل يملي للظالم فاذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾** [هود : ١٠٢] **"**.[٤٩]

وفي مجال الإدارة ، فقد تأسست الدولة الإسلامية بعد هجرة الرسول ﷺ واستقراره بالمدينة المنورة ، وقد اتخذ الرسول عليه السلام من المدينة مقراً لتلك الدولة الناشئة ، ووضع سياستها على أسس واضحة مستقيمة محددة ، ومن أهم هذه الأسس :

(١) قام بتبليغ رسالة ربه ونشرها.

(٢) عقد معاهدة بين المسلمين واليهود ، شرط لهم واشترط عليهم ما فيه خير للجميع ، وما ينظم شئون هذه الجماعة المختلطة.

---

[٤٧] الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، بيروت ، ج٢ ، [١٩٧٨م] ، ص٤٤٠.

[٤٨] ابن كثير : مرجع سابق ، ج٥ ، ص ٣٤٤.

[٤٩] مسلم : مرجع سابق ، ج٨ ، ص ١٩.

(٣) جعل مسجده مكاناً يجتمع فيه المسلمون للتشاور ، ومركزاً للدعوة للإسلام ، ومقراً لاستقبال الوفود.

(٤) كان يستشير أصحابه فيما لم يرد فيه نص من القرآن.

(٥) وضع الدستور الذي جعل من المجتمع المدني المتعدد الأعراق متجانساً ، حيث كان فيه المسلمون الأنصار **" الأوس والخزرج "** والمسلمون المهاجرون من مكة والمسلمون المهاجرون من القبائل العربية الأخرى واليهود بطوائفهم المختلفة ومشركو المدينة والمنافقون ، وصارت المدينة المنورة بذلك مثالاً يحتذى لكل مجتمع متعدد الأعراق والديانات يطمح في الانسجام والوئام. وبذلك وضعت الأسس الصالحة لنشأة الدولة الإسلامية وتطورها.

وفي مجال القضاء أرسى الإسلام القواعد والأسس التي نظمت التعامل والعلاقات بين أفراد الأمة الإسلامية ، ووضع لها التشريعات والقوانين التي تستند إليها في حسم المنازعات والخلافات التي تنشأ بين أفرادها أو بينها وبين غيرها من الجماعات والأمم ، ذلك أن القرآن الكريم وضع للأمة النظريات العامة التي تتعلق بالقوانين الاجتماعية والتشريعية وغيرها[٥٠] ، وعلى هذا يكون القرآن الكريم هو المصدر الأول الذي يأخذ منه القضاء الإسلامي أصوله وقواعده ، وتأتي بعده السنة النبوية ، فقد كان رسول الله ﷺ يقضي بين المسلمين بما أنزل الله وفق الآية : ﴿ **وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ** ﴾ [المائدة : ٤٩] ، وهذه الآية تمثل قاعدة قرآنية ترفض الحكم بالأهواء.

وتولى معاذ بن جبل ولاية وقضاء اليمن لرسول الله ﷺ ، وقد اختبره ﷺ ليتأكد من سيادة العدالة بين أهل اليمن ، فسأله : **" بم تحكم ؟ "** فقال معاذ [وكان أقضى المسلمين] : **" بكتاب الله "** ، فقال الرسول ﷺ : **" فإن لم تجد ؟ "** قال : **" بسنة رسول الله "** ، قال : **" فإن لم تجد ؟ "** قال : **" اجتهد رأي "** ، فقال رسول الله ﷺ : **" الحمد لله**

---

(٥٠) النبراوي ، فتحية عبد الفتاح : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط٩ ، [١٩٩٩م] ، ص ١١٠.

الذي وفق رسول رسول الله لما يرضي الله ورسوله ".[٥١] وقد قلد رسول الله كذلك على بن أبى طالب قضاء اليمن ، وأوصاه قائلاً : **" إذا حضر خصمان بين يديك فلا تقض لأحدهما حتى تسمع كلام الآخر "**.[٥٢]

وخلاصة القول إن بعض حكام المسلمين اليوم يستمدون نظم حكمهم وإدارتهم وقضائهم من أنظمة الغرب والشرق ، متجاهلين ما أرساه إليهم القرآن والسنة في هذا المجال ، وسيظلون هم وشعوبهم في تخبط وضلال وتخلف مالم يرتضوا بالقرآن والسنة منهج حياة كما كان أسلافهم الأوائل.

خامساً : إرساء القرآن أسس العلاقات الدولية :

قدم الإسلام للمجتمع البشرى أسساً للحياة ، تكفل السلامة لهذا المجتمع ، وإن اختلفت عقائد الدول وأديانها. فنظم التعاون بين الأمم في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، كما قدَّم النظم المناسبة للتخفيف من ويلات الحروب ، وكان ما قدمه الإسلام في مجال العلاقات الدولية هو أول تعليمات سامية في هذا المجال عرفتها البشرية.

إنّ العلاقات الدولية تحتكم في التصوّر الإسلامي إلى مبادئ وقيم ثابتة في إطار احترام التعدد الثقافي والسياسي ، وتقارب الشعوب وتعارفهم ، يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣]..

وتقوم كل علاقة في الإسلام على العدالة ، وأن الناس جميعاً سواء ، وإن كان ثمة تفاضل فبالأعمال ، وأن العدالة هي حق للأعداء كما هي حق للأولياء ، وأنه لا يصح أن تحمل العداوة على الظلم ، وأن العدل مع الأعداء هو أقرب للتقوى ، ونصوص القرآن في ذلك متضافرة كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ ... **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** ﴾ [المائدة : ٨] ، وقوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ إِنْ يَكُنْ**

---

[٥١] الماوردي : مرجع سابق ، ص٦٦.

[٥٢] الماوردي : المرجع نفسه ، ص٦٧.

غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَى بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَى أَنْ تَعْدِلُوا وَإِنْ تَلْوُوا أَوْ تُعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٥].[٥٣]

وتتميز العلاقات الدولية الإنسانية في شريعة الإسلام بجعل حرية العقيدة لغير المسلمين أمراً مقرراً ، لأن الإسلام لا يكره أحداً على الدخول فيه ، ذلك لأن الله خلق الناس جميعاً مختلفين في أديانهم وألوانهم وعاداتهم وتقاليدهم ، ولا يزالون كذلك إلى يوم الدين ، ويؤكد ذلك أن القرآن الكريم أنزل سورة كاملة تحتوي على هذا المفهوم الشامل ، قال عز وجل : ﴿ **قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ (٤) وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** ﴾ [الكافرون : ١-٦].

إن الإسلام ينظر إلى الرعايا الذين يُحكَمون بالظلم ويُقيدون في حرياتهم نظرة رحيمة عاطفة ، ينصرهم إذا استنصروه ، ويرفع عنهم نير الطغيان إن هم استعانوا به ، وإن فتح العرب لمصر كان من هذا القبيل ، فحاكم مصر رآها تئن تحت طغيان الرومان واستغلال أراضيها والضغط على حرياتها ، فرحب بالجند الإسلامي لرفع ذلك النير من رقاب المصريين.[٥٤]

إن الإسلام لا يرى بأساً في الانفتاح على الغير حيث يقول الله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، ومما يؤكد هذا الانفتاح والتعارف الإحسان والبر والقسط للذين لم يقاتلوا المسلمين في الدين ولم يخرجوهم من ديارهم ، يقول الله تعالى : ﴿ **لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ** ﴾ [الممتحنة : ٨] كذلك شرع الإسلام نظام المعاهدات ، والسفراء ، وتأمين الرسل المبعوثين إلى الدول الأخرى ، وكتب رسائل الدعوة لهذه الدول.

---

[٥٣] أبو زهرة ، الإمام محمد : العلاقات الدولية في الإسلام ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، [١٩٩٥] ، ص٣٦.

[٥٤] أبو زهرة : المصدر نفسه ، ص ٨٨.

وخلاصة القول في هذا المجال أنه وبناء على هذه النصوص وغيرها انفتح المسلمون على غيرهم ، وتعارفوا على شعوب كثيرة غير ملتهم ، وكان من نتيجة ذلك أن استفادوا من مدنيات متعددة وحضارات متنوعة ، فتكونت لديهم خبرات واسعة في شتى المجالات ، فصهروها في بوتقة الإسلام ، فجاءت الحضارة فيما بعد مطبوعة بطابعه وممهورة بخاتمه.

سادساً : إرساء القرآن والسنة قواعد الآداب الاجتماعية والأخلاقية :

دعا القران الكريم والسنة النبوية إلى الكثير من الآداب الاجتماعية والأخلاقية كأساس تبنى عليه الحضارة الإسلامية في جانبها الاجتماعي ومن ذلك :

(١) الحض على العفو والصفح كما في قوله تعالى : ﴿ ... **وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ** ﴾ [آل عمران : ١٣٤].

(٢) الدعوة إلى الصدق كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ** ﴾ [التوبة : ١١٩]..

(٣) الحث على الصلح كما في قوله تعالى : ﴿ **وَأَصْلِحُواْ ذَاتَ بِيْنِكُمْ** ﴾ [الأنفال : ١].

(٤) الحث على إكرام الجار كما في قوله تعالى : ﴿ ... **وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ** ...﴾ [النساء : ٣٦].

(٥) الأمر بالاتحاد والنهى عن التفرق كما في قوله تعالى : ﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا** ... ﴾ [آل عمران : ١٠٣].

(٦) إعلان مبدأ المساواة كما في قوله تعالى : ﴿ ... **إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** ﴾ [الحجرات : ١٣] ، وقد أكد ذلك الرسول ﷺ في خطبة حجة الوداع عندما قال : **" الناس من آدم وآدم من تراب ، لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى "**.[٥٥]

(٧) النهي عن السخرية والهمز واللمز والتنابز بالألقاب والتجسس والغيبة كما في قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُواً أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (١١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ**

---

[٥٥] الألباني : مرجع سابق ، رقم ٣٧٠٠.

أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١١-١٢].

(٨) نشر التكافل والترابط بين أفراد المجتمع المسلم ، حيث يقول الرسول صلى الله عليه سلم : **" مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى "**.[٥٦]

(٩) غرس عاطفة الحب بين المسلمين ، وإعلامهم أن ذلك مما يحقق الإيمان ، حيث يقول ﷺ : **" لن تؤمنوا حتى تحابوا ، أفلا أدلكم على ما تحابوا عليه قالوا : بلى يا رسول الله قال : أفشوا السلام بينكم "**.[٥٧]

ونخلص إلى أن مثل هذه القيم السامية التي حض عليها القرآن والسنة لا توجد في أي حضارة أخرى غير حضارة المسلمين ، وأن التمسك بها سيعيد لأمة الإسلام مكانتها الرائدة بين شعوب العالم.

الخاتمة :

إن القران الكريم كتاب أوامره هدى لمن استبصرها ، وأمثاله عبر لمن تدبرها ، شرع الله فيه واجبات الأحكام ، وفرق فيه بين الحلال والحرام ، وكرر فيه المواعظ والقصص لذوي الأفهام ، وقص فيه غيب الأخبار ، وصدق الله العظيم عندما قال : ﴿ **مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ** ... ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، إذ جاء للإنسانية بكل ما فيه خيرها وسعادتها ، وكان ما شرعها لها محكماً وعاماً حتى يكون صالحاً لكل زمان ومكان.

ثم إنه جعل لرسوله الكريم بيان ما كان مجملاً ، وتفسير ما كان مشكلاً ، وقد قال تعالى في ذلك : ﴿ ... **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [النحل : ٤٤]. فصار القرآن أصلاً والسنة بياناً.

وحتى يتبين للقارئ أن القرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدر الأصيل للحضارة الإسلامية بينا أثرهما من النواحي التالية : الناحية العلمية ، ناحية العقيدة ، الناحية الاقتصادية ، ناحية الحكم والإدارة والقضاء ، ناحية العلاقات الدولية ، والناحية الاجتماعية

---

[٥٦] مسلم : مرجع سابق ، ج٨ ، ص ٢٠.

[٥٧] مسلم : المرجع السابق ، ج١ ، ص ٥٣.

والأخلاقية ، ولقد جاءت هذه النواحي على سبيل المثال لا الحصر ، لأن جوانب الحضارة الإسلامية متعددة يصعب الحديث عنها كلها في مثل هذه الدراسة.

النتائج :

(١) وضع القرآن الكريم والسنة النبوية القواعد لنظام متكامل للحياة البشرية بمختلف أطوارها ، ومن ثم تولدت حضارة إسلامية شاهقة البنيان.

(٢) فرضت طبيعة الإسلام على الأمة التي اعتنقته أن تكون أمة متعلمة ترتفع فيها نسبة المثقفين ، وتهبط فيها نسبة الجاهلين.

(٣) العلم الذي يقبل المسلم عليه ، ويستفتح أبوابه بقوة ، ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية ، فكل ما يوسع المدارك ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى المعرفة ، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود ، ويفتح له أماداً أبعد من الكشف والإدراك ، ينبغي التطلع له والأخذ بسهم منه.

(٤) كثيرة هي أطروحات إعادة نهضة الأمة الإسلامية ، وكثيرة أيضاً المنطلقات والأسس التي تُعرض لكي تنطلق منها الأمة لإعادة بنائها واستعادتها لقوتها الحضارية ، ولكنها حين تغفل المنطلق الأساس الذي يجب أن تنطلق منه وهو المنطلق العقائدي تتحول إلى غثاء لا فائدة منه ولا قيمة ، ولم ولن يوجد لها أثر نافع ولا نتائج مؤثرة.

(٥) إنّ العقيدة الإسلامية قد أخرجت الإنسان من عالم الشرك والخرافات والتقليد الأعمى إلى دنيا التوحيد والحقيقة وتحفيز الطاقات الكامنة والاعتبار بآيات الله. وحررت الإنسان من الاستبداد السياسي ، فليس في الإسلام استبداد إنسان بآخر أو تسخير طبقة أو قومية لأخرى. وكفلت للأمة الإسلامية بأن تكون هي الأمة الوحيدة التي يستوي فيها الناس جميعاً حاكمهم ومحكومهم.

(٦) إنّ نصوص القرآن والسنة قد تضمنت القواعد الكلية للاقتصاد السليم التي في ضوئها يمكن استنباط الضوابط الشرعية للفرعيات والإجراءات والوسائل.

(٧) يكاد يفيض القرآن والسنة بالموجهات السديدة الخاصة بنظام الحكم والإدارة والقضاء الكفيلة بخلق نظم حكم راشدة في جميع أنحاءالعالم الإسلامي.

(٨) إنّ العلاقات الدولية تحتكم في التصوّر الإسلامي إلى مبادئ وقيم ثابتة في إطار احترام التعدد الثقافي والسياسي وتقارب الشعوب وتعارفهم والإخاء الإنساني.

(٩) على الصعيد الأخلاقي نما القرآن والسنة شجرة الأخلاق الفاضلة وجعلاها عنصراً مشتركاً في جميع الأحكام الإسلامية.

(١٠) على الصعيد الاجتماعي استطاع القرآن والسنة أن يَسْمُوَا بالروابط الاجتماعية من أسس العصبية القبلية واللون والمال إلى دعائم معنوية تتمثل في التقوى والإخاء الإنساني.

التوصيات :

(١) لأجل النهوض بالإنسان من حالة الضعف الروحي والانزلاق في مهاوي المادية ومغرياتها ، لا بدَّ من تذكيره بمعطيات القرآن الكريم والسنة النبوية ، وترسيخ قناعته بقوتهما وصلاحيتهما لكل العصور بلغة معاصرة وشكل يتناسب مع مقتضيات العصر الحديث ، وذلك من خلال قاعات الدراسة والمساجد ووسائل الإعلام المختلفة.

(٢) العمل على إعادة دور العقيدة في بناء الإنسان المسلم ، لتتجسد في فكره إيماناً عميقاً ، وفي سلوكه عملاً صالحاً وأخلاقاً حميدة.

(٣) حث الدارسين على إجراء مزيد من الدراسة حول هذا الموضوع لمعالجة ما لم تستطع الدراسة معالجته من جوانب.

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم.

(١) ابن الأثير ، مجد الدين أبو السعادات المبارك محمد بن الجزري : النهاية في غريب الحديث ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة الإسلامية [بدون تاريخ].

(٢) ابن حجر ، أحمد بن علي العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان [بدون تاريخ].

(٣) ابن حزم ، أبو محمد علي بن أحمد : جمهرة أنساب العرب ، دار المعارف ، القاهرة ، ج٢، [١٩٤٨م].

(٤) ابن الصلاح ، أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري : مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث ، مؤسسة الكتاب الثقافية [١٩٩٩م].

(٥) ابن كثير ، الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر : البداية والنهاية ، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر ، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان [بدون تاريخ].
(٦) ابن ماجة ، الحافظ أبوعبد الله القزويني : سنن ابن ماجة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، القاهرة [بدون تاريخ].
(٧) أبو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني : سنن أبي داؤد ، دار إحياء السنة المحمدية [بدون تاريخ].
(٨) أبو زهرة ، الإمام محمد : العلاقات الدولية في الإسلام ، القاهرة ، دار الفكر العربي [١٩٩٥م].
(٩) أبو شهبة ، د. محمد بن محمد : السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ، دار القلم ، دمشق ط٨ [٢٠٠٦م].
(١٠) الألباني ، محمد ناصر الدين : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع ، الرياض [بدون تاريخ].
(١١) البخاري ، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل : صحيح البخاري ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، [١٤٢٢هـ].
(١٢) البلاذري ، أحمد بن يحيي بن جابر : فتوح البلدان [١٩٥٧م].
(١٣) الحاكم ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري : المستدرك على الصحيحين ، طبعة مجلس دائرة المعارف ، حيدر أباد ، [١٣٤٢هـ].
(١٤) خليل ، عماد الدين : مدخل إلى الحضارة الإسلامية ، الدار العربية للعلوم. بيروت ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، ط١ ، [٢٠٠٥م].
(١٥) الذهبي ، الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان : سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة من المحققين تحت إشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط ، طبعة الرسالة ، ط٢ [١٩٨٥م].
(١٦) السباعي ، مصطفى : من روائع حضارتنا ، دار الوفاق ، دار السلام ، ط١ ، [١٩٩٨م].

(١٧) شبير ، د. محمد عثمان : المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي ، دار النفائس ، ط٦ [٢٠٠٧م].
(١٨) شلبي ، أبو زيد : تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي ، مكتبة وهبة ، القاهرة [٢٠٠٢م].
(١٩) طبارة ، عفيف عبد الفتاح : روح الدين الإسلامي ، دار العلم للملايين ، بيروت [بدون تاريخ].
(٢٠) الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير : تاريخ الأمم والملوك ، بيروت [١٩٧٨م].
(٢١) العيادي ، أحمد صبحي : المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ، دار الكتاب الجامعي ، ط٢ [٢٠٠٧م].
(٢٢) قطب ، سيد : خصائص التصور الإسلامي ومقوماته ، دار الشروق [بدون تاريخ].
(٢٣) الكلبي ، هشام بن السائب : كتاب الأصنام ، تحقيق أحمد زكي ، دار الكتب المصرية ، القاهرة [١٩٢٤م].
(٢٤) مدكور ، محمد سلام : المدخل للفقه الإسلامي ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط٢ [١٩٩٦م].
(٢٥) مسلم ، الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج : الجامع الصحيح ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان [بدون تاريخ].
(٢٦) ملكاوي ، محمد أحمد محمد عبد القادر خليل : عقيدة التوحيد في القرآن الكريم ، مكتبة دار الزمان ، ط١ [١٩٨٥م].
(٢٧) المودودي ، أبو الأعلى : الربا ، دار الفكر ، بيروت [بدون تاريخ].
(٢٨) النبراوي ، فتحية عبد الفتاح : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، دار الفكر العربي ، ط٩ ، القاهرة [١٩٩٩م].
(٢٩) هونكة ، زيغريد : شمس العرب تسطع على الغرب ، نقله إلى العربية فاروق بيضون وكمال دسوقي ، دار الجيل بيروت ، دار الآفاق الجديدة ، ط٨ ، [١٩٩٣م].
(٣٠) الهيثمي ، علي بن أبي بكر : مجمع الزوائد ، الريان للتراث ، القاهرة ، [١٩٨٦م].

قسم الدراسات الإسلامية

* أنشئ قسم الدراسات الإسلامية بكلية الآداب ، جامعة الخرطوم عام ١٩٨٠م ، ويقع غرب مسجد جامعة الخرطوم.
* يمنح القسم درجة البكالوريوس العام خلال أربع سنوات ، ودرجة الشرف في الدراسات الإسلامية في خمس سنوات. وفي مجال الدراسات العليا يمنح درجتي الماجستير والدكتوراه بالبحث ، والماجستير عن طريق المقررات.
* تتكون هيئه التدريس بالقسم من ثلاثة عشر أستاذاً ، منهم أربعة بدرجة الأستاذ المشارك ، وأربعة يحملون درجة الأستاذ المساعد ، وثلاثة محاضرون ، و أثنان مساعدا تدريس.
* يقدِّم القسم مقررات العلوم الإسلامية الأساسية كالتفسير والقراءات ، وعلوم القرآن ، والحديث وعلومه ، والفقه وأصوله ، وفقه النوازل ، والسيرة النبوية. إضافة إلى الفكر الإسلامي ، ومقررات في قضايا سياسية واقتصادية معاصرة ، وفنون الدعوة والإعلام ، وتاريخ وحضارة الإسلام ، والأثار والفنون الإسلامية ، ومصطلحات ونصوص إسلامية باللغة الإنجليزية ، ومقارنة الأديان ، ومقررات في علم النفس وعلم الاجتماع.